مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْعَاشِرَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِير جزء عمّ

[سُورَتَيِ: اللَّيْلِ، وَالضُّحَى]

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ اللَّيْلِ

* سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ سَعْيِ الْإِنْسَانِ وَعَمَلِهِ، وَعَنْ كِفَاحِهِ وَنِضَالِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ نِهَايَتِهِ إِلَىٰ النَّعِيمِ أَوْ إِلَىٰ الْجَحِيمِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِاللَّيْلِ إِذَا غَشِيَ الْخَلِيقَةَ بِظَلَامِهِ، وَبِالنَّهَارِ إِذَا أَنَارَ الْوُجُودَ بِإِشْرَاقِهِ وَضِيَائِهِ، وَبِالْخَالِقِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَوْجَدَ النَّوْعَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ، أَقْسَمَ عَلَىٰ أَنَّ عَمَلَ الْخَلَائِقِ مُخْتَلِفٌ، وَطَرِيقَهُمْ مُتَبَايِنٌ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ وَضَّحَتِ السُّورَةُ سَبِيلَ السَّعَادَةِ، وَسَبِيلَ الشَّقَاءِ، وَرَسَمَتِ الْخَطَّ الْبَيَانِيَّ لِطَالِبِ النَّجَاةِ، وَبَيَّنَتْ أَوْصَافَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَأَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ نَبَّهَتْ إِلَىٰ اغْتِرَارِ بَعْضِ النَّاسِ بِأَمْوَالِهِمُ الَّتِي جَمَعُوهَا، وَثَرْوَاتِهِمُ الَّتِي كَدَّسُوهَا، وَهِيَ لَا تَنْفَعُهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ شَيْئًا، وَذَكَّرَتْهُمْ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي تَوْضِيحِهِ لِعِبَادِهِ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ وَطَرِيقَ الضَّلَالَةِ ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ حَذَّرَتْ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَانْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنْذَرَهُمْ مِنْ نَارٍ حَامِيَةٍ، تَتَوَهَّجُ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا، لَا يَدْخُلُهَا وَلَا يَذُوقُ سَعِيرَهَا إِلَّا الْكَافِرُ الشَّقِيُّ، الْمُعْرِضُ عَنْ هِدَايَةِ اللهِ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِذِكْرِ نُمُوذَجٍ لِلْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ، الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، لِيُزَكِّيَ نَفْسَهُ وَيَصُونَهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَضَرَبَتِ الْمَثَلَ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه حِينَ اشْتَرَىٰ بِلَالًا وَأَعْتَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ اللَّيْلِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ
(٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ
وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠) وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ
(١١) إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ اللَّيْلِ»:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾: وَاللَّيْلِ إِذْ يُغَطِّي بِظُلْمَتِهِ مَا كَانَ مُضِيئًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: ظَهَرَ نُورُهُ، وَانْكَشَفَ، وَوَضُحَ؛ لِزَوَالِ الظُّلْمَةِ فَتَجَلَّىٰ.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: ﴿مَا﴾(٢): إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: يَعْنِي: وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ(٣)، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً: وَخَلْقِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٤٧)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٥٠ - ٥٥١).

(٢) فيها الوجهين كما تقدم في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]، وفي: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: ٦].

(٣) فيكون (ما) بمعنىٰ (منْ)، ويكون ذلك قسما من الله ﷻ بخالق الذّكر والأنثىٰ، وهو ذلك الخالق، وهذا قول الحسن، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٧)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، يَقُولُ: «**وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣٤) لابن أبي حاتم.

(٤) فيكون (ما) مع ما بعدها بمعنىٰ المصدر، ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثىٰ، وقد ثبت عن ابن مسعود وأبي الدرداء: أنهما كانا يقرآن ذلك: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، ويأثُرُه أبو الدرداء =

أَقْسَمَ اللهُ جَلَّوَعَلَا بِهَذِهِ الْأَقْسَامِ، وَللهِ جَلَّوَعَلَا أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ، وَأَمَّا الْعَبْدُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: جَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾: إِنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ، فَمِنْهُ عَمَلٌ لِلْجَنَّةِ، وَمِنْهُ عَمَلٌ لِلنَّارِ.

«فَأَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِاللَّيْلِ عِنْدَمَا يُغَطِّي بِظَلَامِهِ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا، وَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالنَّهَارِ إِذَا انْكَشَفَ عَنْ ظَلَامِ اللَّيْلِ بِضِيَائِهِ، وَبِخَلْقِ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ أَوْ بِخَالِقِهِمَا جَلَّوَعَلَا إِنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ، بَيْنَ عَامِلٍ لِلدُّنْيَا، وَعَامِلٍ لِلْآخِرَةِ»(١).

=

عن رسول الله ﷺ، أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٩٢: باب ٢، رقم ٤٩٤٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب صلاة المسافرين، باب ٥٠: ٣، رقم ٨٢٤)، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَدِمَ أَصْحَابُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَىٰ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَىٰ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ؟ قَالَ: كُلُّنَا، قَالَ: فَأَيُّكُمْ أَحْفَظُ؟ فَأَشَارُوا إِلَىٰ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؟ قَالَ عَلْقَمَةُ: (**وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ**)، قَالَ: «**أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَكَذَا**»،...الحديث، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤١٦): «وَأَمَّا الْجُمْهُورُ فَقَرَأُوا ذَلِكَ كَمَا هُوَ مُثْبَت فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامُ الْعُثْمَانِيُّ فِي سائر الآفاق: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾».

وهو أيضا قول قتادة، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٣٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٧)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، قَالَ: فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ: «**وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ**».

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾: فَأَمَّا مَنْ بَذَلَ مَالَهُ فِي وُجُوهِ الخَيْرِ، وَاتَّقَىٰ مَحَارِمَ اللهِ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا، ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: بِالخَلَفِ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالمينَ، بِالْعَطَاءِ وَالجُودِ مِنْ أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ(١).

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾: فَسَنُهَيِّئُهُ لِلْخَصْلَةِ الحُسْنَىٰ، وَهِيَ عَمَلُ الخَيْرِ(٢).

---

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٨ - ٤٦٩)، والبيهقي من طريق: سعيد بن منصور في «شعب الإيمان» (١٣/ رقم ١٠٣٣٢)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾، قَالَ: «**وَصَدَّقَ بِالْخَلَفِ مِنَ اللهِ**»، وفي رواية: «**أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣٥) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول عكرمة، وأبو صالح، ومقاتل، ورواية عن مجاهد، واختاره ابن جرير الطبري.

وَيُؤَيِّدُهُ ما أخرجه البخاري في «صحيحه» في (الزكاة، ٢٧، رقم ١٤٤٢)، ومسلم في «صحيحه» في (الزكاة، ١٧، رقم ١٠١٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

(٢) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾، قَالَ: «**لِلْخَيْرِ مِنَ اللهِ عز وجل**»، وقد تقدم تخريجه فِي قَوْلِهِ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾، وهو قول مقاتل والفراء أيضا.

وَيُؤَيِّدُهُ ما أخرجه البخاري في (التفسير، ٩٢: ٤، رقم ٤٩٤٦) ومواضع، ومسلم في (القدر، ١: ٩، رقم ٢٦٤٧)، من حديث: عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا**
=

«فَأَمَّا مَنْ بَذَلَ مِنْ مَالِهِ وَاتَّقَىٰ اللهَ فِي ذَلِكَ، وَصَدَّقَ بِالحِسَابِ وَالثَّوَابِ، وَبِمَا يُؤْتِيهِ اللهُ جَلَّوَعَلَا مِنَ الخَيْرِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ، أَمَّا مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَسَنُرْشِدُهُ إِلَىٰ أَسْبَابِ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَسَنُيَسِّرُ لَهُ أُمُورَهُ»(١).

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ، فَلَمْ يُنْفِقْ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ فِي سُبُلِ الخَيْرِ، ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: فَزَهَدَ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: بِالخَلَفِ مِنَ اللهِ(٢)، وَبِالجَنَّةِ(٣)، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾: فَسَنُهَيِّئُهُ لِلْخَصْلَةِ الْعُسْرَىٰ، وَنُسَهِّلُهَا لَهُ حَتَّىٰ تَتَعَسَّرَ عَلَيهِ أَسْبَابَ الخَيْرِ.

= مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥).

(٢) وهو قول ابن عباس وغيره، كما تقدم في قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.

(٣) وهو قول مجاهد، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٧٠، و٤٧٢ - ٤٧٣)، بإسناد صحيح، قَالَ في قوله: ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: «بِالْجَنَّةِ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣٥) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣١).

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾: الَّذِي بَخِلَ بِهِ، ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾: إِذَا هَوَىٰ فِي النَّارِ هَالِكًا(١).

«وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ وَاسْتَغْنَىٰ عَنْ جَزَاءِ رَبِّهِ، وَكَذَّبَ بِالحِسَابِ وَالثَّوَابِ فَسَنُعِينُهُ عَلَىٰ مَا اخْتَارَ، وَسَنُيَسِّرُ لَهُ مُهَيِّئِينَ إِيَّاهُ الخَصْلَةَ الْعَسِيرَةَ الْعُسْرَىٰ، فَلَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ الَّذِي بَخِلَ بِهِ إِذَا وَقَعَ هَاوِيًا عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ مُتَرَدِّيًا فِي النَّارِ»(٢).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: إِنَّ عَلَيْنَا الْبَيَانَ وَالْإِرْشَادَ.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾: وَلَنَا كُلُّ مَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَنَا كُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا.

«إِنَّ عَلَيْنَا بِفَضْلِنَا، وَحِكْمَتِنَا أَنْ نُبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَىٰ المُوصِلَ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَأَنْ نُمَيِّزَهُ مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، وَإِنَّ لَنَا مِلْكَ الحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَالحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَحَذَّرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَخَوَّفْتُكُمْ نَارًا تَتَوَهَّجُ وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ»(٣).

❁ ❁ ❁

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٧٦)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾، قَالَ: «إِذَا تَرَدَّىٰ -سَقَطَ- فِي النَّارِ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣٦) لعبد بن حميد، وهو قول أبو صالح ذكوان السمان، وزيد بن أسلم، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥ - ٥٩٦) بتصرف يسير.

(٣) المصدر السابق (ص٥٩٦).

المَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِاللَّيْلِ حِينَ يَغْشَىٰ النَّهَارَ بِظُلْمَتِهِ، فَيَذْهَبُ بِضَوْئِهِ، وَأَقْسَمَ بِالنَّهَارِ إِذَا بَانَ وَظَهَرَ بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ، وَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مُخْتَلِفَةٌ مُتَضَادَّةٌ، فَمِنْ فَاعِلِ خَيْرٍ، وَمِنْ فَاعِلِ شَرٍّ، ثُمَّ فَصَّلَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي أَعْطَىٰ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَعْطَىٰ مَا أُمِرَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الزَّكَاةِ، وَخَافَ اللهَ تَعَالَىٰ فَلَمْ يَرْتَكِبْ مَحَارِمَهُ، وَصَدَّقَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا، فَسَيُهَيِّئُهُ اللهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ سُبْحَانَهُ.

وَعَلَىٰ الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ مَنْ بَخِلَ بِالنَّفَقَةِ فِي الخَيْرِ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنْ ثَوَابِ اللهِ، فَلَمْ يَرْغَبْ فِيهِ، وَكَذَّبَ بِالحُسْنَىٰ، فَسَيُهَيِّئُهُ اللهُ لِطَرِيقِ الشَّرِّ؛ حَتَّىٰ يَعْمَلَ بِمَا لَا يُرْضِي اللهَ فَيَسْتَوْجِبَ النَّارَ.

جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ،...**»(١).

وَلَكِنْ بِهَذَا المَلْحَظِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَمِلَ الخَيْرَ وَصَدَّقَ بِالحُسْنَىٰ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَيُهَيِّئُهُ لِلْخَصْلَةِ الحُسْنَىٰ، وَهِيَ عَمَلُ الخَيْرِ.

وَأَمَّا إِذَا مَا بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ، وَكَذَّبَ بِالخَلَفِ مِنَ اللهِ وَبِالجَنَّةِ؛ فَإِنَّ اللهَ يُهَيِّئُهُ لِلْخَصْلَةِ الْعُسْرَىٰ، وَيُسَهِّلُهَا لَهُ؛ حَتَّىٰ تَتَعَسَّرَ عَلَيهِ أَسْبَابُ الخَيْرِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ -وَلَهُ المَشِيئَةُ المُطْلَقَةُ- لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً تَحْتَ مَشِيئَتِهِ جَلَّوَعَلَا، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ المُبَادَرَةَ بِيَدِ الْعَبْدِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ذَكَرَ اللهَ رَبَّ الْعَالمينَ فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ فِي نَفْسِهِ، وَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي مَلَأٍ ذَكَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْه، وَإِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ شِبْرًا تَقَرَّبَ اللهُ إِلَيهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَىٰ رَبِّهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيهِ رَبُّهُ بَاعًا، فَإِذَا جَاءَ رَبَّهُ يَمْشِي جَاءَهُ رَبُّهُ هَرْوَلَةً(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرج البخاري في (كتاب التوحيد، باب ١٥: ٣، و٣٥: ١٤، رقم ٧٤٠٥، و٧٥٠٥)، ومسلم في (كتاب الدعوات، باب ١: ١، و٦: ١)، وفي (كتاب التوبة، باب ١: ١، رقم ٢٦٧٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ**=

فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ ذَلِكَ الْأَمْرَ لِلْإِنْسَانِ عَلَىٰ حَسَبِ اخْتِيَارِهِ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالمينَ يَزِيدُهُ هُدًىٰ، أَوْ يُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ عَلَىٰ حَسَبِ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ بِمَشِيئَتِهِ الَّتِي هِيَ تَحْتَ مَشِيئَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَنْفَعُ هَذَا الْبَخِيلَ بِالمالِ إِذَا مَاتَ، وَوَقَعَ فِي جَهَنَّمَ؟

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ بِيَدِهِ الْإِرْشَادَ وَالتَّوْفِيقَ وَالهِدَايَةَ، وَعَلَيهِ بَيَانَ طَرِيقِهِمَا، يُرْشِدُ أَوْلِيَاءَهُ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَيَصْرِفُ عَنِ الْعَمَلِ بِهَا أَعْدَاءَهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ مِلْكًا لَهُ، فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِهِ فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ.

❁ ❁ ❁

=

ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ عَظَمَةِ اللهِ، وَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُوجِبٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ المقْتَضِيَةِ لِعِبَادَتِهِ وَحْدَه سُبْحَانَهُ دُونَ سِوَاهُ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ أَعْمَالَ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ، وَمُتَبَايِنَةٌ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ اللهَ، وَسَارَعَ إِلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُوَفَّقُ لِكُلِّ خَيْرٍ.

٤- وَفِيهَا: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ خُسْرَانِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ طَاعَةٍ، وَتَرَكَ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيهِ.

٥- وَفِيهَا: تَقْرِيرُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ المالَ لَا يُنْجِي صَاحِبَهُ مِنَ النَّارِ مَا لَمْ يَتَّقِ اللهَ تَعَالَىٰ.

٧- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ الهِدَايَةَ بِيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مِلْكٌ للهِ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا.

❁ ❁ ❁

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٨٢).

www.menhag-un.com

الآيات من: ١٤ إلى: (٢١) نهاية السورة

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: فَخَوَّفْتُكُمْ نَارًا تَتَوَقَّدُ.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾: لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْكَافِرُ يَجِدُ صَلَاهَا وَهُوَ حَرُّهَا.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾: الرَّسُولَ، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عَنِ الإِيمَانِ مُعْرِضًا.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾: وَسَيُبَاعَدُ عَنْهَا -عَنْ تِلْكَ النَّارِ- الْمُتَّقِي لِلْكُفْرِ اتِّقَاءً بَالِغًا.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾: الَّذِي يُعْطِي مَالَهُ، ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾: يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ زَاكِيًا لَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِ-، فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ، وَأَمَّا حُكْمُ الْآيَةِ فَعَامٌّ(٢).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٤٧ - ٤٤٩)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٥١ - ٥٥٣).

(٢) أخرج ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣١٩)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (رقم ٦٦)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على «الفضائل» (رقم ٢٩١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (رقم ٤١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٥ - ٥٢٦، رقم ٣٩٤٢)، =

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ﴾: أَيْ: مِنْ يَدٍ ﴿تُجْزَىٰٓ﴾: فَيُكَافِئُهُ عَلَيْهَا(١).

﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مُجَازَاةً لِأَحَدٍ بِيَدٍ لَهُ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ يَفْعَلُهُ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: بِمَا يُعْطِيهِ اللهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْكَرَامَةِ؛ جَزَاءً عَلَىٰ مَا فَعَلَ.

=

والواحدي في «أسباب النزول» (ص٤٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٦٩، ترجمة ٣٣٩٨)، من طريق: ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِابْنِهِ أَبِي بَكْرٍ: «يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جلدًا يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «**يَا أَبَتِ، إِنِّي أُرِيدُ مَا أُرِيدُ**»، قَالَ: فَيُتَحَدَّثُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِ وَفِيمَا قَالَ أَبُوهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ،...﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

وجميع المفسرين علىٰ القول بهذا من غير خلاف بينهم، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٢٢): «وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَىٰ الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوْلَىٰ الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ».

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٨ - ٤٧٩).

www.menhag-un.com

«لَا يَدْخُلُهَا -أَيْ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ الَّتِي حَذَّرْتُكُمْ لَظَاهَا وَتَوَقُّدَهَا- إِلَّا مَنْ كَانَ شَدِيدَ الشَّقَاءِ، الَّذِي كَذَّبَ نَبِيَّ اللهِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِهِمَا، وَسَيُزَحْزَحُ عَنْهَا شَدِيدُ التَّقْوَىٰ الَّذِي يَبْذُلُ مَالَهُ ابْتِغَاءَ المزِيدِ مِنَ الخَيْرِ، وَلَيْسَ إِنْفَاقُهُ ذَا مُكَافَئَةٍ لِمَنْ أَسْدَىٰ إِلَيهِ مَعْرُوفًا أَوِ اصْطَنَعَ عِنْدَهُ يَدًا، لَكِنَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْأَعْلَىٰ يَلْتَمِسُ بِذَلِكَ رِضَاهُ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيهِ اللهُ فِي الجَنَّةِ مَا يَرْضَىٰ بِهِ وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ»(١).

❁ ❁ ❁

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٦).

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُخَوِّفُ اللهُ سُبْحَانَهُ المُكَذِّبِينَ لِرَسُولِهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا تَتَوَقَّدُ وَتَتَهَلَّبُ، وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الشَّقِيُّ الَّذِي كَذَّبَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَعْرَضَ عَنِ الإِيمَانِ، وَسَوْفَ يُبْعَدُ عَنِ النَّارِ التَّقِيُّ الَّذِي يُعْطِي مَالَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ؛ لِيُزَكِّيَ نَفْسَهُ وَيُطَهِّرَهَا، فَلَا يَطْلُبُ بِمَا يُنْفِقُهُ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً.

وَسَبَبُ النُّزُولِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِ-: كَانَ يَشْتَرِي الْعَبْدَ المُسْلِمَ، ثُمَّ يُعْتِقُهُ تَخْلِيصًا لَهُ مِنْ تَعْذِيبِ قُرَيشٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ وَحْدَهُ(١).

وَلَفْظُ الآيَةِ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ يَتَّصِفُ بِخِلَالِ وَخِصَالِ الخَيْرِ، وَلَا يَفْعَلُ الخَيْرَ جَزَاءً عَلَىٰ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيهِ أَحَدٌ فِيمَا سَبَقَ فَيَكُونُ كَرَدِّ الجَمِيلِ، لَكِنَّهُ يَفْعَلُ الخَيْرَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ رَجَاءَ أَنْ يُثِيبَهُ اللهُ عَلَيهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ سُبْحَانَهُ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ فِي الجَنَّةِ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١) تقدم تخريجه.

www.menhag-un.com

وَسَوفَ يَرْضَىٰ هَذَا المُحْسِنُ بِمَا يُعْطِيهِ اللهُ لَهُ مِنَ الجَزَاءِ فِي الآخِرَةِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَىٰ طَاعَتِهِ لِرَبِّهِ، وَتَصْفِيَةِ نَفْسِهِ، وَتَهْذِيبِهَا مِنْ شَوَائِبِهَا.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ مِنَ النَّارِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ أَسْبَابِ الْوُقُوعِ فِيهَا.

٢- وَفِيهَا: أَنَّ النَّارَ مَآلُ مَنْ كَذَّبَ بِالحَقِّ وَأَعْرَضَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بِشَارَةٌ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ، وَأَدَّىٰ حُقُوقَهُ بِالْبُعْدِ عَنِ النَّارِ وَالنَّجَاةِ مِنْهَا.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ الإِخْلَاصَ فِي الْأَعْمَالِ شَرْطٌ فِي قَبُولِهَا وَالثَّوَابِ عَلَيْهَا.

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالمينَ أَنْ يَرْزُقَنَا الإِخْلَاصَ فِي الْقَصْدِ، وَالنِّيَّةِ وَالإِحْسَانِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الضُّحَى

* سُورَةُ الضُّحَىٰ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ شَخْصِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ الْأَعْظَمِ، وَمَا حَبَاهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِيَشْكُرَ اللهَ عَلَىٰ تِلْكَ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ، الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ عَلَىٰ جَلَالَةِ قَدْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَنَّ رَبَّهُ لَمْ يَهْجُرْهُ وَلَمْ يُبْغِضْهُ كَمَا زَعَمَ الْمُشْرِكُونَ، بَلْ هُوَ عِنْدَ اللهِ رَفِيعُ الْقَدْرِ، عَظِيمُ الشَّأْنِ وَالْمَكَانَةِ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾.

* ثُمَّ بَشَّرَتْهُ بِالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِرَسُولِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ، وَمِنْهَا الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَىٰ ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾.

* ثُمَّ ذَكَّرَتْهُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الصِّغَرِ، مِنَ الْيُتْمِ، وَالْفَقْرِ، وَالْفَاقَةِ، وَالضَّيَاعِ، فَآوَاهُ رَبُّهُ وَأَغْنَاهُ، وَأَحَاطَهُ بِكَلَئِهِ وَعِنَايَتِهِ ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِتَوْصِيَتِهِ ﷺ بِوَصَايَا ثَلَاثٍ، مُقَابِلَ تِلْكَ النِّعَمِ الثَّلَاثِ، لِيَعْطِفَ عَلَىٰ الْيَتِيمِ، وَيَرْحَمَ الْمُحْتَاجَ، وَيَمْسَحَ دَمْعَةَ الْبَائِسِ الْمُسْكِينِ ﴿فَأَمَّا

﴿ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ وَهُوَ خَتْمٌ يَتَنَاسَقُ فِيهِ جَمَالُ اللَّفْظِ، مَعَ رَوْعَةِ الْبَيَانِ، فِي أَرْوَعِ صُوَرِ الْإِبْدَاعِ وَالْجَلَالِ.

وَسُورَةُ الضُّحَىٰ(١)؛ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي سَبَبِ نُزُولِهَا(٢)، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ، قَالَ: «اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ -هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ الْعَوْرَاءُ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ(٣)-، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾».

وَقِيلَ: لَمَّا سُئِلَ عَنِ الرُّوحِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ: سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا، وَلَمْ يَسْتَثْنِ -يَعْنِي: وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ-، فَعُوقِبَ بِانْتِظَارِ الْوَحْيِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَلَاهُ - أَيْ: قَلَاهُ رَبُّهُ-، فَأَنْزَلَ اللهُ سُورَةَ الضُّحَىٰ(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٥٦)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٥٧ - ٥٥٩).

(٢) «صحيح البخاري» في (التفسير، سورة ٩٣: باب ١، رقم ٤٩٥٠)، وأخرجه أيضا مسلم في (الجهاد، باب ٣٩: ٩، رقم ١٧٩٧).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٣/ ٩)، و(٨/ ٧١٠).

(٤) قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٧١٠): «ذَكَرَ ابن إسحاق فِي «السيرة» فِي سَبَبِ نُزُولِ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَالرُّوحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَوَعَدَهُمْ بِالْجَوَابِ وَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً أَوْ أَكْثَرَ فَضَاقَ صَدْرُهُ، وَتَكَلَّمَ الْمُشْرِكُونَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، وَبِجَوَابِ مَا سَأَلُوا، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-
=

سُورَةُ الضُّحَى

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: (١١) نهاية السورة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ
ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦
وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

=

٢٤]، انْتَهَىٰ.

وَذِكْرُ (سُورَةِ الضُّحَىٰ) هُنَا بَعِيدٌ، لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الزَّمَانُ فِي الْقِصَّتَيْنِ مُتَقَارِبًا فَضَمَّ بَعْضُ الرُّوَاةِ إِحْدَىٰ الْقِصَّتَيْنِ إِلَىٰ الْأُخْرَىٰ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا لَمْ يَكُنْ فِي ابْتِدَاءِ الْبَعْثِ، وَإِنَّمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ».

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: وَالمُرَادُ بِالضُّحَىٰ هُنَا: النَّهَارُ كُلُّهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، فَلَمَّا قَابَلَ الضُّحَىٰ بِاللَّيْلِ؛ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ المرَادَ بِهِ النَّهَارُ كُلُّهُ لَا بَعْضُهُ(١)، وَالضُّحَىٰ فِي الْأَصْلِ: اسْمٌ لِوَقْتِ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ قِيدَ رُمْحٍ إِلَىٰ الزَّوَالِ(٢).

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: وَاللَّيْلِ إِذَا غَطَّىٰ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ شَيْءٍ(٣)، وَسَكَنَ فَسَكَنَ النَّاسُ، وَأَخْلَدُوا لِلرَّاحَةِ(٤).

---

(١) وهو قول قتادة، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥١)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١]، قَالَ: «**هَذَا النَّهَارُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول الفراء، والزجاج، واختاره ابن جرير الطبري، والشوكاني.

(٢) «لسان العرب» (١٤/ ٤٧٤ - ٤٧٥) مادة: (ضحا).

(٣) وهو قول سعيد بن جبير، عزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٤١) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، بلفظ: «**إذا أقبل فَغطّىٰ كل شَيْء**»، وروي نحوه عن ابن عباس، والحسن.

(٤) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٤)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، قَالَ: «**إِذَا سَكَنَ بِالنَّاسِ**»، =

﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾: ﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: أَيْ: مَا تَرَكَكَ، وَلَا تَخَلَّىٰ عَنْكَ مِنَ التَّوْدِيعِ؛ تَوْدِيعِ المُفَارِقِ، ﴿وَمَاقَلَىٰ﴾: وَمَا أَبْغَضَكَ.

«أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالنَّهَارِ كُلِّهِ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ بِالخَلْقِ وَاشْتَدَّ ظَلَامُهُ، وَيُقْسِمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِمَا يَشَاءُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيرِ خَالِقِهِ، فَإِنَّ الْقَسَمَ بِغَيرِ اللهِ شِرْكٌ.

مَا تَرَكَكَ يَا مُحَمَّدُ رَبَّكَ، وَمَا أَبْغَضَكَ؛ لِإِبْطَاءِ الْوَحْيِ عَنْكَ»(١).

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾: وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ أَيِ: الجَنَّةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾: وَاللَّامُ هِيَ لَامُ الابْتِدَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ﴾: دَخَلَتْ عَلَىٰ الخَبَرِ؛ لِتَأْكِيدِ مَضْمُونِ الجُمْلَةِ، وَالمُبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَلَأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ(٢)، وَقِيلَ: اللَّامُ لِلْقَسَمِ(٣).

=

وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٤١) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وهو قول عطاء، وعكرمة، وابن زيد، والضحاك، واختاره ابن جرير الطبري، والشوكاني، وقال: «وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلُ اللُّغَةِ».

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٦).

(٢) «الكشاف» (٤/ ٧٦٧)، و«تفسير أبي السعود» (٩/ ١٧٠).

(٣) «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٧٧ - ٢٧٨).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾: وَالاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾: لِلتَّقْرِيرِ، فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ لَكَ مَأْوَىٰ تَأْوِي إِلَيْهِ.

وَمِنْ بِدَايَةِ هَذِهِ الآيَةِ شُرُوعٌ فِي تَعْدَادِ مَا أَفَاضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ مِنَ النِّعَمِ(١)، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَتْرُكْهُ، بَلْ آوَاهُ وَهَدَاهُ وَأَغْنَاهُ.

فَقَوْلُ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ رَبَّهُ أَبْغَضَهُ، وَقَلَاهُ قَوْلٌ مَرْدُودٌ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ جُنْدُبٍ، قَالَ: «اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ -هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ الْعَوْرَاءُ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ-، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَذِهِ السُّورَةَ»(٢).

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾: وَوَجَدَكَ حَائِرًا، ضَالًّا عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ، فَهَدَاكَ لِلتَّوْحِيدِ، وَالنُّبُوَّةِ(٣).

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، قَالَ: «كَانَتْ هَذِهِ مَنَازِلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ ﷻ».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٢٦): «﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَىٰ:٥٢]»، وهو معنىٰ قول السدي، وابن =

«وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَنْوَاعِ الإِنْعَامِ فِي الْآخِرَةِ فَتَرْضَىٰ بِذَلِكَ، أَلَمْ يَجِدْكَ مِنْ قَبْلُ يَتِيمًا فَآوَاكَ وَرَعَاكَ، وَوَجَدَكَ لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمانُ؛ فَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَوَفَّقَكَ لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾: ﴿عَآئِلًا﴾: فَقِيرًا[1]، ﴿فَأَغْنَىٰ﴾: وَسَاقَ لَكَ الرِّزْقَ، وَأَغْنَىٰ نَفْسَكَ بِالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ[2]»[3].

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا تَذِلَّ.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: وَأَمَّا الْمِسْكِينُ، وَأَمَّا الْفَقِيرُ، وَأَمَّا ذُو الْحَاجَةِ، وَأَمَّا الَّذِي يَسْأَلُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَلَّا تَنْهَرُهُ بِزَجْرٍ وَلَا غَيْرِهِ.

=

جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨).

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨)، بإسناد صحيح، عَنْ سُفْيَانَ الثوري، في قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾، قال: «فَقِيرًا»، وهو قول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٧٣٢)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٤)، وغير واحد من المفسرين، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٤)، قال: «لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ وَلَكِنَّ اللهَ أَرْضَاهُ بِمَا آتَاهُ».

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٦).

www.menhag-un.com

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: أُشْكُرْ نِعْمَةَ الإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَالْوَحْيِ وَالْعِلْمِ، وَالْفُرْقَانِ.

«فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا تُسِئْ مُعَامَلَتَهُ، وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَزْجُرْهُ، بَلْ أَطْعِمْهُ وَاقْضِ حَاجَتَهُ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيكَ فَتَحَدَّثْ بِهَا»(١).

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

(١) المصدر السابق.

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ ﷻ بِوَقْتِ الضُّحَىٰ، وَباللَّيْلِ إِذَا غَطَّىٰ بِظَلَامِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيرِ خَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَا تَرَكَ رَسُولَهُ ﷺ مُنْذُ اخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، وَلَا أَبْغَضَهُ مُنْذُ أَحَبَّهُ، وَهُوَ الخَلِيلُ المُخْتَارُ، وَإِنَّ لَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَ المقَامِ المَحْمُودِ وَالحَوْضِ المَوْرُودِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مَا يَجْعَلُهُ يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَالآخِرَةُ خَيرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيهِ اللهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ.

ثُمَّ أَخَذَ سُبْحَانَهُ يُعَدِّدُ نِعَمَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مُنْذُ طُفُولَتِهِ؛ لِيَقِيسَ عَلَيْهَا ﷺ مَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ نِعَمِ اللهِ، فَتَطِيبُ نَفْسِهِ وَيَقْوَىٰ رَجَاؤُهُ فِي اللهِ، وَجَّهَ الخِطَابَ إِلَيهِ قَائِلًا: أَلَمْ تَكُنْ يَتِيمًا بِفَقْدِكَ أَبَوَيْكَ فِي طُفُولَتِكَ، فَآوَاكَ إِلَىٰ عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ فَكَفَلَكَ.

وَوَجَدَكَ ضَالًّا عَنْ مَعْرِفَةِ الشَّرِيعَةِ فَهَدَاكَ إِلَيْهَا، وَوَجَدَكَ فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَغَنَاؤُهُ ﷺ هُوَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الْكَفَافَ، وَجَعَلَهُ قَانِعًا بِمَا أَعْطَاهُ، وَفِي

الحَدِيثِ: «**لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ غِنَى النَّفْسِ**». وَهَذَا الحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ ثَلَاثَ وَصَايَا وَصَّىٰ بِهَا رَسُولَهُ ﷺ، وَالخِطَابُ بَعْدُ عَامٌّ وَإِنْ كَانَ خَاصًّا فِي بَدْءِ تَوَجُّهِهِ.

وَصَّاهُ بِعَدَمِ إِذْلَالِ الْيَتِيمِ، وَإِهَانَتِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَىٰ حَقِّهِ، فَلْيَتَلَطَّفْ بِهِ، وَيُحْسِنُ إِلَيهِ، وَوَصَّاهُ بِعَدَمِ زَجْرِ السَّائِلِ وَنَهْرِهِ، بَلْ يَرُدُّهُ بِلِينٍ وَلُطْفٍ، وَوَصَّاهُ أَيْضًا بِأَنْ يَتَحَدَّثَ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيهِ، وَالمُرَادُ بِنِعَمِ اللهِ: جَمِيعُ النِّعَمِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا نِعْمَةُ النُّبُوَّةِ، وَنِعْمَةُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالشَّرِيعَةِ، فَهُوَ مِنَ التَّبْلِيغِ الَّذِي يَشْمَلُهُ مَعْنَىٰ التَّحَدُّثِ بِالنِّعْمَةِ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في (الرقاق، ١٥، رقم ٦٤٤٦)، ومسلم في (الزكاة، ٤٠، رقم ١٠٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ(١):

١- وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ: أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَخْلُو مِنْ كَدَرٍ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَا تَخْلُو مِنَ الْمُنَغِّصَاتِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

٢- وَفِي الْآيَاتِ: تَطْيِيبُ قَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِيَطْمَئِنَّ بِأَنَّ رَبَّهُ لَمْ يَتْرُكْهُ، وَلَمْ يُبْغِضْهُ.

٣- وَفِيهَا: بَيَانُ عُلُوِّ مَقَامِهِ ﷺ، وَشَرَفِ مَكَانَتِهِ.

٤- وَفِيهَا: بِشَارَتُهُ ﷺ بِأَنَّ مَا أُعِدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: امْتِنَانُ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِتَعْدَادِ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَيهِ، وَفِيهَا: مَشْرُوعِيَّةُ التَّذْكِيرِ بِالنِّعَمِ وَالنِّقَمِ؛ حَمْلًا لِلْعَبْدِ عَلَىٰ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: الْوَصِيَّةُ بِالْعَطْفِ عَلَىٰ الْيَتِيمِ، وَالرِّفْقِ بِهِ.

٧- وَفِيهَا: النَّهْيُ عَنْ رَدِّ السَّائِلِ بِعُنْفٍ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ سَائِلُ المالِ، وَسَائِلُ الْعِلْمِ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٨٧).

www.menhag-un.com

٨- وَفِي الْآيَاتِ: الْأَمْرُ بِالتَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللهِ عَلَىٰ سَبِيلِ الثَّنَاءِ، وَالشُّكْرِ للهِ جَلَّ وَعَلَا.

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com